**إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة للمؤمنين**

***بحث فى : توحيد الصفات***

 *إعداد / عادل محمد فتحي*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*adel.mater@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة للمؤمنين**

**الكلمات الافتتاحيه : المسأله، اثبات ، الدار**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة للمؤمنين**

* ***. موضوع المقالة***

والكلام في هذه المسألة على الوجه التالي:

أولًا: ذِكْر بعض الآيات الدالة على الرؤية، وبيان وجه الدلالة وكلام السلف حولها.

ثانيًا: ذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي تثبت الرؤية، مع ذكر أقوال بعض السلف لتوضيح معاني النصوص من تفاسيرهم، وذكر الأدلة العقلية المؤيدة للأدلة النقلية، مع الإجابة على شبه المعارضين النافين للرؤية.

الآية الأولى قوله تعالى: {ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ} [القيامة: 22، 23] وهذه الآية لو سَلِمَت من تحريف المحرفين، وتدبَّرها مؤمن سليم الفطرة، وجدها تنادي نداءً صريحًا بأن الله تعالى يُرى عَيانًا بالأبصار يوم القيامة.

وبيان ذلك كالآتي:

إن الفعل "نَظَرَ" له عدة استعمالات في اللغة على حسب تعديه بنفسه أو بواسطة حرف الجر، فإن عُدي بنفسه يكون معناه التوقف والانتظار، وذلك كقوله تعالى: {ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ} [الحديد: 13] أي: انتظرونا وتوقفوا لنا حتى نقتبس من نوركم، وإن عدي بـ"في" فمعناه التفكر والاعتبار. كقوله تعالى: {ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [الأعراف: 185] وإن عدي بـ"إلى" فمعناه المعاينة بالأبصار، وذلك كقوله تعالى: {ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ} [الأنعام: 99].

وآية الباب من النوع الأخير، بل هي أبلغ في الدلالة على المراد، حيث أضيف النظر إلى الوجه الذي هو محلُّ البصر، وقد فَهِمَ هذا المعنى من الآية علماءُ السلف قاطبةً دون أن يشذ منهم أحد، وسوف نتحدث عن موقفهم وفقههم إن شاء الله.

الآية الثانية: قوله تعالى: {ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ} [الأنعام: 103] والملاحظ: أن هذه الآية من أدلة نفاة الرؤية إلا أن بعض المحققين يرى -ورأيه هو الصواب- أن الآية دلالتها على جواز الرؤية أوضح، بل لا تدل على امتناع الرؤية إلا بنوع من التكلفِ والتحريفِ؛ لأن الله تعالى ذكر هذا الخبر في سياق التمدح. ومن المعلوم بالضرورة وبالنظر السليم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية.

واعلم، بأن العدم المحض ليس فيه مدح؛ لأنه ليس بكمال، وإنما يكون العدم مدحًا إذا تضمن أمرًا وجوديًّا مثل تمدحه سبحانه بنفي السِّنَة والنوم، لأنه يتضمن كمال القَيّوميّة ونفي الموت؛ لأنه يتضمن كمال الحياة، وهكذا جميع الصفات السلبية التي تَمَدّح الله بها تتضمن أمرًا وجوديًّا على ما شرحنا.

ففي هذه المسألة إنما تمدَّح الله بعدم إدراك أبصار العباد وإحاطتهم به لا بعدم الرؤية؛ لأنه لو كان لا يُرى لشارك سبحانه العدم، وهو الذي لا يُرى، ومشاركة العدم ليست بكمال وليس فيها مدح، بل في ذلك من الانتقاص ما لا يدركه النفاة لجهلهم أو تجاهلهم، وإذا كان من الواجب تنزيه الله عن مشاركة أي مخلوق موجود ومشابهته فيما يختص به ذلك المخلوق، فكيف يستسيغ النفاة مشاركة الله للعدم الصرف في خصائصه وهو عدم الرؤية؟ والله المستعان.

قوله تعالى: {ﭥ ﭦ ﭧ} إنما يدل على غاية عظمته، وهي أنه تعالى أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يُدرك ولا يُحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية. ويشهد لما ذكرنا قوله تعالى حكايةً للحوار الذي جرى بين موسى وقومه المؤمنين، عندما رأوا فرعون وجنوده من مكان بعيد: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ} [الشعراء: 61، 62] معلوم من السياق أنه لم ينفِ الرؤية -وهي واقعة بالفعل- كما أنهم لم يريدوا بقولهم: {ﭗ ﭘ}، إنا لمرئيُّون، ولكنهم كانوا قد خافوا أن هذا الجَبار صار بمقربة منهم حتى رأوه سيدركهم ويلحق بهم ويؤذيهم، وهذا المعنى هو الذي نفاه موسى بقوله: {ﭛ}، وقد وعده ربه سبحانه أنه لا يخاف دركًا ولا يخشَى، إذ يقول سبحانه: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ} [طه: 77].

ومما يذكره بعضُ أهل العلم بهذا الصدد: أن الرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك. كما أنه يُعلَم ولا يحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المشهود لهم بالإمامة، قال ابن عباس -رضي الله عنه: {ﭥ ﭦ ﭧ}: "لا تحيط به الأبصار". قال قتادة: "هو أعظم من أن تدركه الأبصار". قال عطية العوفي التابعي: "ينظرون إلى الله ولا تُحيط أبصارُهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم، ثم تَلَا قوله تعالى: {ﭥ ﭦ ﭧ} الآية". ويعني العوفي أن هذا معنى الآية وتفسيرها. ولذلك قال -رحمه الله-: "فالمؤمنون يرون ربهم -تبارك وتعالى- بأبصارهم عَيانًا، ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها تحيط به سبحانه، إذ كان غير جائز أن يُوصَف الله  بأن شيئًا يحيط به. أما هو سبحانه بكل شيء محيط".

وهكذا يُسمِعُ كلامه من شاء من خلقه، ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يَعلم الخلق ما علّمهم ولا يحيطون بعلمه.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: في الإدراك أقوال للعلماء من السلف:

أحدها: لا تدركه الأبصار في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة، ويكون الإدراك بمعنى الرؤية عند هؤلاء.

وثانيها: الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم، ومعنى الإدراك معرفة الحقيقة عند هؤلاء.

وثالثها: أن الإدراك أخص من الرؤية؛ لأن الإدراك بمعنى الإحاطة، ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية.

قال الإمام ابن جرير الطبري عند تأويل هذه الآية: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: {ﭥ ﭦ ﭧ}: قال بعضهم: معناه لا تحيط به الأبصار، وهو يحيط بها سبحانه، وقال آخرون: لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، وأما في الآخرة فإنها تدركه، وقال أهل هذه المقالة: الإدراك في هذا الموضع الرؤية.

والراجح هو القول الذي تشهد له الأحاديث -التي سيأتي ذكرها إن شاء الله- لأنها تعتبر تفسيرًا للآية كما هو معروف عند أهل العلم من السلف، وهو إثبات الرؤية في الآخرة دون الدنيا، وإن الإدراك المنفي أمر زائد على مجرد الرؤية، وهو الإحاطة، والله أعلم.

ومن الآيات التي استدل بها أهل السنة على إثبات الرؤية قولُه تعالى:{ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} [الأعراف: 143] والآية من الآيات التي يتعلق بها النفاة ظنًّا منهم بأنها تنفي الرؤية، إلا أن أهل السنة قلبوا عليهم الحجة، فأثبتوا أن الآية من أدلتهم على إثبات الرؤية عكس ما زعموا.

ومن أوجه دلالة الآية على الرؤية ما يلي:

1. لا يظن بكليم الله موسى # أن يسأل الله ما لا يليق بالله، بل هو مِن أبطل الباطل في زعمهم. وهو من أعرف الناس بما يليق بالله وما لا يليق به سبحانه.

2. أن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله، علمًا بأنه تعالى قد أنكر على نبيه نوح # سؤاله حين سأله نجاة ابنه، فقال: {ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} [هود: 46] فقال: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} [هود: 47] ولو كان سؤال رؤية الله من قبيل سؤال نوح ابنه، لأنكر عليه سبحانه كما أنكر على نوح #، وعدم الإنكار دل على أنه إنما سأله ممكنًا لا مستحيلًا.

3. أن الله سبحانه أجابه بقوله: {ﯝ ﯞ}، ولم يقل: إني لا أُرى أو لست بمرئي، أو لا تجوز رؤيتي أو عبارة قريبة من هذه العبارات التي تدل أن الرؤية غير ممكنة. والفرق بين الأسلوبين واضح لمن تأمل بإنصاف.

وبهذا عرفنا بأنه تعالى يُرى في الوقت الذي حدده سبحانه لرؤيته، وأن نبيه موسى  إنما سأله ما هو ممكن، إلا أنه نبهه على أنه لا يقوَى على الثبوت أمام التجلي في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر في الدنيا، إلا أن الله سبحانه يمنحهم القوة التي تمكنهم من الثبوت أمام تجلي الرب -تبارك تعالى- فيرونه عيانًا ولكن دون إحاطة -كما تقدم- وهذا المفهوم هو الذي اتفق عليه الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون.

4. وفي قوله تعالى: {ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ}، إشارة لطيفة وتنبيه إلى أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت أمام التجلي، فكيف بك وبأمثالك؛ لأنك أضعف من الجبل يا موسى!

هذا، وأما دعوى المعتزلة وشيعتهم بأن "لن" تدل على التأبيد، فدعوى باطلة تأباها اللغة، فإن "لن" إنما وُضعت لنفي المستقبل، فأما التأبيد فإنما يُستفاد من قرائن خارجية، وهي لا تفيد التأبيد بنفسها. قال ابن هشام في (أوضح المسالك): "ولن، وهي لنفي سيفعل" أي: لنفي المستقبل، ولا تقتضي تأبيد النفي ولا تأكيده، خلافًا للزمخشري.

وفي هذا يقول ابن مالك في كافيته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومن يرى النفي بلن مؤبدًا | \* | فقوله ارْدُدْ وسواه فاعضدا |

فمحاولة تأبيد النفي بـ"لن" محاولة جهمية مغرضة، ولكنها غير ناجحة بل مردودة كما قال ابن هشام.

ومن أقوى أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية قوله تعالى: {ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ} [المطففين: 15] ومن العقوبة التي يعاقب الله تعالى بها الكفار يوم القيامة أنه يحجبهم عن رؤيته، ووجه استدلالنا بالآية أن الله  جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤية الله وعن سماع كلامه، فإذًا إن من أعظم نعم الله على المؤمنين أنهم يرونه عيانًا ويسمعون كلامَه سماعًا، إذ لو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه، كانوا أيضًا محجوبين عنه تعالى.

وبهذا الأسلوب احتج الإمام الشافعي بالآية وغيره من الأئمة، وفي هذا الصدد يحدثنا الإمام المُزَني -وهو من كبار أصحاب الإمام الشافعي- إذ يقول المزني: سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى: {ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ}: فيه دليل على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة.

ثم يأتي زميله الربيع بن سليمان؛ ليؤكد ما حكاه المزني، حيث يقول: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله : {ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ}؟ فقال الشافعي: لَمَّا حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى، قال الربيع: فقلت للشافعي: يا أبا عبد الله! وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدينُ الله. ثم قال الشافعي -وهو يؤكد هذا المعنى: ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لَمَا عبَد الله .

وهكذا آيات أخرى تدل على إثبات لقاء الله ورؤيته تعالى، وذلك مثل قوله تعالى: {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ} [البقرة: 223]، وقوله تعالى: {ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} [البقرة: 46]، وقوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ} [الأحزاب: 44]، وقوله سبحانه: {ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ} [الكهف: 110]. وهناك آيات أخرى كثيرة تنص على هذا المعنى.

واللقاء عند أهل اللغة يقتضي المعاينة ما لم يكن هناك مانع كالعمى مثلًا.

بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب:

أما الأحاديث المرفوعة إلى النبي  فقد ذكر الإمام ابن القيم أنها وصلت إلى حد التواتر، فسَرد منها ثلاثين حديثًا مرفوعًا بين صحيح وحسن، بل بعضها مخرجة في (الصحيحين) أو في أحدهما. وهناك أحاديث موقوفة وآثار عن الصحابة تُعطي حكمَ الرفع في اصطلاح المحدثين.

ومن الأحاديث المرفوعة حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري { في (الصحيحين) ونصه: ((إن أناسًا قالوا: يا رسول! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟! قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سَحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك)).

ومثله حديث جرير بن عبد الله البجلي > ولفظه: ((كنا جلوسًا عند النبي  إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته. فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا)). وفي حديث آخر له -رضي الله عنه: ((إنكم سترون ربكم عيانًا)).

لا يخفَى أن المقصود من الحديثين وما في معناهما، هو تشبيه الرؤية بالرؤية من حيث الوضوح والحقيقة، وعدم التكلف وعدم وجود التزاحم حالَ الرؤية، ولا يلزم من ذلك تشبيه المرئي بالمرئي إذ: {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ}.

ومنها حديث صهيب الرومي > عند مسلم قال: قال رسول الله : ((إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله : تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟! فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم. ثم تَلَا هذه الآية: {ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ} [يونس: 26])).

وقال الإمام ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث: وهذا حديث رواه الأئمة عن حمَّاد بن سلمة وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق.

ولو ذهبنا نسوق كل ما ورد من الآيات والآثار وأقوال أهل العلم سلفًا وخلفًا في موضوع الرؤية مع مناقشتها، لو فعلنا ذلك لأدى بنا إلى الخروج عن موضوع المحاضرة، لذا نرى الاكتفاء بالنصوص التي أوردناها، فثبوت رؤية الله في الآخرة للمؤمنين أصبح في غاية من الوضوح، ولم يبقَ في المقام خلافٌ يُعتدّ به.

الآراء في معنى الرؤية:

يروي الإمام أبو الحسن الأشعري أن المعتزلة أجمعت على أن الله لا يُرى بالأبصار، ثم اختلفوا فيما بينهم هل يُرى بالقلوب أم لا؟ وقال أكثر المعتزلة: إن الله يُرى بالقلوب بمعنى أنه يُعلم.

وأنكر بعضهم حتى هذا النوع من الرؤية، بل صرحت جماعة من المعتزلة والخوارج وطوائف من المُرجئة وبعض الزيدية: بأن الله لا يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة، ولا يجوز ذلك عليه تعالى.

وأما الأشعرية فإنهم يثبتون الرؤية بالأبصار في الآخرة، ولكن دون مقابلة، ودون إثبات للفوقية لله تعالى كما أثبت الله لنفسه: {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} [النحل: 50].

كما تقدمت في بحث صفة الاستواء أدلة قاطعة في ثبوت الفوقية والعلو لله تعالى، وإثبات الرؤية مع نفي الفوقية فيه نوع من الغموض وعدم الوضوح، إذ لا يُعقل إثبات موجود في الخارج ووجوده حقيقي وإثبات رؤيته بالأبصار، ثم القول: إنه ليس فوق الرائي أو على يمينه أو على يساره أو تحته.

هذا كلام يرده كل مَن يسمعه وهو يعقل ما يسمع.

وأما أهل السنة والجماعة: فيؤمنون بأن الله يتجلَّى لعباده في الموقف، وفي الجنة من فوقهم، ويخاطبهم، ويسلم عليهم، ويرونه بأبصارهم كما يرون الشمس ليس دونها سَحاب.

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**